

## في دنيا الأحلام

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا أومن بالأحلام ولا أعيرها اهتماماً جدياً ، لأنني أعتبر أكثرها ناتجاً عن عوامل الغريزة المكبوتة والعقل الباطن ، غير أني أفت حاراً أمام بعض الأحلام التي حلته وأصبحت بمد قليل حقيقة راهنة لا أحلاماً طارئة لا تتجاوز تخيلة النائم ولا تمدو فراشه

وكم تساءلت : أمي المصادفة تقضي بصحة بعض الأحلام أم هو الإلهام ؟ ولكن ما هي المصادفة وما هو الإلهام ؟ وكيف أعلل حدوثهما ؟ لا أدري

وكل ما أدري أنني رأيت أربعة أحلام صبح ثلاثة منها والرابع ما يزال غامضاً ؛ وأرجح أنه سيظل غامضاً إلى ما شاء الله حلته وأنا في عهد التلذذ أن المفتاح الذي كنت قد أضفته وكان يهمني أمره كثيراً مطمور في التراب قرب شجرة قديمة

المهد في قلب الملعب الشرق في مدرسة الحكمة . وكنت قد قننت عنه في كل مكان هناك دون جدوى ، ثم وجدته في المكان نفسه الذي هداني إليه الحلم

أما الحلم الثاني فهو : كنت ذات ليلة جالساً في داري أطالع إحدى الصحف اليومية فجاءني ولد لا يتجاوز الثالثة من عمره وضرب الجريدة التي في يدي وطرحها أرضاً . ثم أخذ يداعبني مقهقهماً ويلاعيني راكضاً من كرسي إلى كرسي ، ومن ناحية إلى ناحية . والفريب في الأمر أنني حلته أن هذا الولد هو ولدي مع أنني ما كنت أباً في ذلك الحين ولا متزوجاً

وبعد سنوات صبح هذا الحلم بحذافيره ، إذ كنت صباح يوم جالساً في المكان نفسه أطالع بعض الجرائد ، فخرج ولدي من غرفته وهو دون الثالثة من عمره وتقدم نحو وضرب الجريدة وأرقعها من يدي . ثم شرع يلاعيني ويركض مقهقهماً من مكان إلى مكان . وكان في لباسه وكامل هيئته يشبه تمام الشبه الولد الذي عاينته في الحلم

أليس من الفريب الدهش أن يشاهد المرء ولده في الحلم قبل

قلبك وسما عقلك ستشمر بالمادة تغمر نفسك . أما إذا فكرت بأنك عوملت بأجحاف ، أو إذا ظننت أنه لا يمكنك الحصول على ما ترغب ، أو إذا لم يبد لك الجو جيلاً ، فلا يمكنك أن تملك إلا الحزن

عند ما تظن السماء ويكفهر الجو وتتلبد السحب بالنيوم يشمر الكثيرون بالنعاسة إذ يقولون ( أين هي الشمس ؟ ياله من يوم عبوس ا ) ويفهم آخرون - وهم أسى روحاً - أن هناك وراء تلك السحابة المليئة بالمياه الغدقة شمساً لا تزال تشع . أليس من الخرق أن يُخدع بمثل قباب رقيق كهذا أناس عقلاء ذوو حس ؟ ومع ذلك فالحد الذي يفصل بين الفرح والحزن دقيق كما أنه خداع ؛ مبهم لمن يميلون للظاهر ، وواضح لمن أوتوا الإيمان والذكاء فيرون الحق من خلالها

إذا كان حب شخص هو ما تظن أنه سيجعلك سعيداً فلا تتمتع على ذلك الحب . أحبب بقوة ما استطعت ولكن لا تطلب الحب إن لم تر هناك استجابة . الحب الصادق القوي هو مثل الأعلى ، ولكن إذا كان هناك تفاوت كبير في الطبع وأنت نفسك الشخص الذي لا يميل إلى التبادل فيحسن بك

كثيراً أن تنقل انتباهك - مع إرادتك - إلى شخص آخر أكثر تلبية

والحب في صدق وإخلاص ورزانة يمكن أن نطلق عليه بسهولة مسألة انتباه Attention . انتقل انتباهك ، فينتقل حبك . وأنت لا تحب كل الملايين من الناس المحبوبين لأنك لا تعيرهم انتباهك ، ولأنك لا تعرفهم معرفة ألفة ، ولذلك لا يمكنك أن تفهم حياتهم . سيأتيك الحب بأخذك الاتجاه الإيجابي نحو الشخص الذي تحب واهباً لا سائللاً ، معطياً خطتك الحكيمة الاعتبار والانتباه الضروريين ...

ثم إن القناعة ناشئة معظمها عن أننا نتصور غيرنا أسعد حالاً منا ، وعن أننا نريد أن نكون دائماً أسعد من سوانا ... والشخص إذا أضاع كل شيء فعلية ألا يفقد الأمل وحب العمل . فالمعمل المنتج يرفع القلب ويبلب الفكر ويشرف الشعور ويؤله النفس . وهل هناك سعادة فيما عدا ذلك أو في شيء غير ذلك ؟

عبد العزيز مراد

دبلوم علم النفس وعضو نادي التكمين بالبحر

وانتصب أمامي قائلاً : أنتم معاشر الأحياء تمتقدون أن المرء الذي تنادره الحياة تنادره المعرفة ويطرحه الشعور ، فتقطع كل صلة له بكم وبممالككم ، فيموت لا يدري ما يحدث بأوساطكم ولا يشعر بأعمالكم ولا بسرائمكم وضرائكم ؛ وهذا خطأ فاضح ، فالبيت لا يفقد غير الحركة والنطق اللذين كان بهما يظهر لكم معرفته وشعوره ، ولا يعني فقدانهما فقدان المعرفة والشعور ، بل فقدان الواسطة التي كان بها يتصل بكم

أجل ليس لدى الأموات ألسنة تتكلم ولا أجسام تتحرك لتعرب لكم عن معرفتها وإدراكها وشعورها بل هم بقوة الحياة الكلية - وقد أصبحوا جزءاً منها - غدوا أقوى منكم معرفة وأسمى إدراكاً وأشد شعوراً

كنت في الحياة الدنيا أعدت نفسي ويمدني الناس من فطاحل العلماء ، ومن أعظم الدهاة الذين لا تخفى عليهم خافية ، وبعد الموت تبينت جهلي وجهل الناس تقدير إدراكي ومعارفي

فأنا الذي كنت أحسب عالماً لم أكن إلا على يسير من العلم ، وأنا الذي كنت أعدت مدركاً لم أكن إلا على ذرة من الإدراك لأنني لم أعرف من شجرة الحياة طيلة حياتي إلا قصورها

كنت على جانب عظيم من الجهل لأنني لم أتمكن في الحياة من معرفة أقرب المقرين إلي ، الذين كنت أسأكنهم أو كانت تربطني بهم صلة من الصلات . أما اليوم فقد حررتني الموت من الجهل ، ففدت علومكم التي كنت أتبعجج بمعرفتها بمثابة الأعيب صيبانية أمامي ، وصارت دنياكم الحافلة بالرموز والأسرار والأحاجي مضيئة عن ظهر قلبي ، وبواطنكم المستترة التي لم أدرككنها في الحياة أصبحت اليوم واضحة حيال ذهني وضح شمس الظهيرة

لقد كنت مخدوعاً حقاً في كثير من الأمور . مخدوعاً في معرفتي لنفسي ومعرفتي للناس . فجاءني الموت يعرفني بنفسي مبيئاً لي مقدار قصورها وعجزها في المعرفة خلال الحياة . ويعرفني بالناس كما هم لا كما كنت أتوهم معرفتهم . لأنه أظهر لي ما تكنه طبائعهم من خفايا الترائز والنزعات التي كانت فاضحة على كل الشموس

مجيئه إلى العالم ؟ إتفاقاً كان ذلك أم وحيًا أم ماذا ؟  
أما الحلم الثالث فهو : حلمت منذ أعوام أن أحد الأنبياء وهو شاب في ريق العمر ونشاطه قد قضى نحبه في أحد المستشفيات ؛ وبعد أيام قليلة جاءني رسول يبلغني خبر وفاته في المستشفى نفسه الذي حلمته ممدداً فيه على فراش الموت

وأغرب من ذلك أن الشاب كان يتمتع بصحة يحسد عليها فلم يدر بخلدي أدنى خوف على حياته . ولم يكن لدى من داع لحدوث هذا الحلم الذي أوحى إلي بموته

أنا لا أدعي معرفة النيب ولا ما يجتبه المستقبل في طياته ، ولست من مدعي النبوة ، أنا رجل من طلاب الأدب والعلم لا من طلاب المعجزات والظوارق . لكني لا أنكر وجود قوة في الإنسان تستبق معرفة الحوادث . هذه القوة ما تزال مستترة على العلم لم يسبر غورها بمدى ما يتبع له تحديدها

فكم مرة يفكر المرء في أحد أصدقائه ولا يلبث حتى يرام أمامه . وكما مرة يتخيل أمراً فيتحقق لساعته ، وقد قيل :  
« اذكر الذيب وهو في القليب »

أما الحلم الرابع فهو : حلمت أنني عظيم من الغرابة ، لا يمت بصلة إلى الشهوات البهيمية التي يقال إنها تستيقظ في العقل الباطن في خيال المرء ولا يتملق أيضاً بموت أو ولادة أو كسب أو خسارة أو بما شاكل ذلك مما يكثر حدوده بين الأحياء فيعلمون بمخيلاتهم ويشغل أذهانهم ، فيأتيهم في الحلم لا أزال أذكر أنني ليلة الحلم أويت إلى مخدعي قبيل منتصف الليل ، وبقيت أتلعب على فراشي إلى ما بعد الساعة الثانية دون أن ينعض لي جفن من تكاثر قصف العود وتواصل هدير الزوابع والأمطار ، لأن الليلة كانت هائلة من أروع ليالي الشتاء برقاً ورعداً ومن أشدها برداً وزمهريراً

لم يتملكني النعاس إلا في الهزيع الأخير من الليل ولم أكد أستسلم إلى سلطان الكرى حتى نزل عليّ هذا الحلم ، فشمرت ساعة نزوله كأنني لست بالنائم ولا بالاستيقظ بل بينهما ، وما بينهما سوى عالم الرؤى - عالم الأنبياء والأولياء - ولا شأن لي في هذا العالم

حلمت أن صديقاً لي توفاه الله منذ عدة سنوات هبط مخدعي

أن تظهروا على علانكم بدلاً من أن تتقمعوا بأقنعة النش وتسترخوا بها ، فهي لا تستركم عن وجه الحق ، فالأقنعة فانية والحقائق باقية .

انتهى الحلم فاستيقظت فور انتهائه وأنا أردد عبارته الأخيرة .  
قلت في نفسي هل الأقنعة الفانية هي أجسامنا التي نتعارف بها في هذا الكون ، والحقائق الباقية هي جوهر الحياة الذي لا يدركه الفناء . ثم عكفت على نفسي أسألها : كيف جاءني هذا الحلم ؟ وهل يحلم المرء بما لا يدركه وما لا يقع تحت حواسه ؟ ألا تبلغ الخيلة شأواً لا تبلغه الحواس ولا يصل إليه الإدراك ؟ أليس للدين الذي يلتقن الإيمان بالحياة الأخرى ضلع أيضاً في هذا الحلم المرتكز على الإقرار الصريح ببقاء الحياة بعد الموت ؟

أليس لمعضلات الحياة الدنيا ومشاكلها أو بالأحرى ، أليس لديني لمعرفة أسرارها وحل رموزها وأحاجيها يد في إلهام ؟  
ذا الحلم الذي يعطيني بكالم المعرفة بعد الموت ويشبع رغباتي ورغباتي ولو في العالم الآخر بالوصول إلى ذروة الإدراك : إدراك دقائق الحياة وحقايق الكائنات ؟

( بيروت )  
نوفيس حسن الشرنوبلي

لقد كنت مخدوعاً بالمظاهر الخارجية إلى أقصى حد . فكم رجل كنت أحسبه صديقاً فكان عدواً . وكم إنسان كنت أعداه مخلصاً فكان مخائلاً . وكم رجل دين كنت أعتبره جم الفضائل فكان جم الرذائل . وكم امرأة كنت أعتقد بها الطهر والورع فكانت على غير ذلك

أما الآن فقد تجاوزت عالم النش والخداع والتمويه إلى عالم الحقائق فأصبحت أرى كل شيء واضحاً جلياً . إنى أطل عليكم من كوة هذا العالم - عالم الحياة الكافية وأرقبكم من نوافذها المشعة في دخائل أذهانكم وقلوبكم : وأنقذ أعمالكم وكل ما يصدر عنكم من خير أو شر . وإنى لعالم بكل ما تظهرون وما تكتُمون

ولست وحدى أعلم ذلك بل يعلمه مثلي كل من حرره الموت من قيود دنياكم وأصبح متحدداً بالحياة الكلية التي تسبح عليه نعمة المعرفة الكاملة

فألا موات يرونكم دائماً وأنتم لا تشعرون بروؤيتهم إليهم ، ويتفقدونكم دائماً وأنتم لا تعلمون بتفقدكم لكم ، لأنهم أصبحوا أرق منكم معرفة وأسعى روحاً وأنفذ بصيرة

فكم من رجال حولي يتطلعون إلى دنياكم ويرقبون فيها أبناءهم وأحفادهم ويرون ما آلوا إليه من الضنك والفقر على الرغم من كثرة ما أدرنوم من مال وعقار . فهم يشاهدون أموالهم التي اكتسبوها بعرق الجبين وادخروها لأبنائهم كيف تتبدد في الحانات والمواخير وأندية الميسر والخلاعة ، وبأسفون لضياعتها في بؤرة الفساد ويتألمون لأنهم لم يعملوا بها عملاً مفيداً للجنس البشري بدلاً من توريثها لمن لا يستحقها

أما دنياكم هي دنيا الحروب والمطامع - دنيا الإرياء والأباطيل - دنيا الأخطاء والفواحش - دنيا الخوف والجهل والبغف . ولهذا نحن نشفق عليكم بالرغم من كثرة شذوذكم وتهمركم على الأخص من معرفة الحقيقة - حقيقة نفوسكم وحقيقة غرائزكم . كأن الحقيقة هي قول دنياكم نخشونها كما نخشون الموت ، والحقيقة وحدها هي رجاؤكم المتعبد . نغير لكم

## مصلحة السجنون

### بعمود مناصرة

تقبل عطاءات عن توريد خوص  
وليف نخيل بلدي لغاية الساعة العاشرة  
من صباح يوم ٢٧ - ٥ - ١٩٤٤  
ويمكن الاطلاع على الشروط بالمصلحة  
وبوزارة التجارة والصناعة وبالعرف  
التجارية المصرية وتشتري بمبلغ  
٧٠ ملياً ٢١٥٥